

تطور النهضة الثقافية في الشام والمجمع العلمي اللبناني

الأستاذ محمد جميل بيهم

(لبنان)

الحملة الصليبية

لقد دعا كل من البابا سلفستر الثاني في سنة 393 هـ - 1002 م والبابا غريغوار السابع في عام 468 هـ - 1075 م ملوك أوروبا وأصحاب الأقطاعات لتخليص بيت المقدس . ولكن دموئيهما ذهبتا ادراج الرياح . حتى إذا ما شب الخصام بين الأسرة السلجوقية بعد موت السلطان ملكشاه ونشبت الحروب بينها بعد نحو عشرين سنة من هاتين الدعوتين كانت صرخة ناسك فقير هناك كافية لجمع كلمة الأوربيين من أجل انقاذ قبر المسيح . وقد حملوا على بلاد الشام ثماني حملات كانت اولها في سنة 409 هـ - 1096 م ، والاخيرة في سنة 669 هـ - 1270 م .

وبين هذه وتلك استقر الصليبيون في بلاد الشام مدة طويلة ، وتسلطوا على بيت المقدس الى أن تصدى لهم ، عقب الحملة الصليبية الثالثة ، صلاح الدين الأيوبي سلطان مصر والشام 532 - 589 هـ ، 1137 - 1193 م وأخرجهم من فلسطين وما حولها، ثم كان المماليك البحرية خلفاء الأيوبيين بمصر سبب صد الحملات الصليبية الاخرى من مصر ، وأخراجها من كافة بلاد الشام .

غير أن هذه البلاد ظلت نحو جيلين دار حرب تكسد فيها سوق العلم والادب ، ولولا الحاجة الماسة الى العلوم الدينية لانصرف الناس عنها ايضا . هذا فعلا من كون أكثر بيوت العلم قد اقلت في تلك الحقبة وان المكتبات قد احترقت بفعل تلك الحروب . وحسبنا ان نذكر أن مكتبة طرابلس التي احترقت في عهد الصليبيين ، او احرقوها ، كانت على ما قيل تحفل

كثيرا ما لاحظت ان الباحثين في موضوع تاريخ الثقافة العربية يغفلون عن ذكر المجمع العلمي اللبناني ويعود ذلك الى قلة السنين التي قضاها ، والى تقصيرنا ، نحن اللبنانيين ، في تدوين اعماله . وهي اعمال غير قليلة بالنسبة لعمره .

وقد رايت ان اتلاني هذا التقصير على ان اتخذ هذه المناسبة فرصة لعرض ناحية مهمة في تاريخنا ، وأعني بها ناحية تطور نهضتنا الثقافية في بلاد الشام على مر العصور حتى الآن وذلك بصورة موجزة تتناول الخطوط الكبرى بحسب رابطة الاسباب بالمسببات .

العالم العربي خلال ثلاثة قرون

لما وضعت كتابي « العرب والتراك في صراع بين الشرق والغرب » الذي صدر سنة 1957 جعلت هذا العنوان عنوانا للفصل الثالث منه . حيث بينت بالادلة ان القرون الثلاثة التي تبدأ بمطلع القرن الثامن الميلادي وتنتهي بختام القرن العاشر كانت قرونا ذات طابع عربي في العالم ، سواء اكان ذلك في النواحي السياسية والتجارية والصناعية ام في النواحي الصناعية والزراعية والثقافية ، وانها كانت كلها تقتبس من معين الحضارة العربية . ثم جعلت عنوان الفصل الرابع « اين من سادوا وشادوا وبنوا ؟ » ذلك الفصل الذي تناول انهيار العرب ، وتغلب الاعاجم عليهم الى ان استأثر بالحكم آل عثمان . وليس المجال هنا فسحا للتبسط في جميع اطراف هذا الموضوع ، وانما اكتفي بالناحية الثقافية منه ، وبالخطوط البارزة من هذه الناحية فقط ، وذلك نتيجة للاحداث السياسية .

بثلاثة ملايين مخطوطة . وكل ذلك كان من اسباب ذبول الحضارة العربية في المشرق .

الحملة المغولية

وجاءت النكبة الثانية على الحضارة العربية من المشرق فاودت بها . ففي غضون الحروب الصليبية خف المغول الى اكتساح بلاد الشام . وهم قوم غزاة كانوا ينزلون في منشوريا بين نهري سنكاري والايترس طالما هددوا الصين ، وتمرضوا لها حتى اضطر احد اباطرتها شي هنج تي لتشييد السور الكبير ، ابتداء من سنة 240 الى سنة 210 ق م ليكون سدا بين بلاده وبين هؤلاء المنشوريين . وهو على ما اثبت بكتابي « الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية كانك تراهما » بعد زيارتي له هو نفس سد ذي القرنين الذي ورد ذكره في القران الكريم . غير ان هذا السور لم يقو فيما بعد على دفع غارات المغول ، بل ان ملكهم جنكيزخان الذي انشا امبراطورية كانت تمتد من بحر اليابان الى بحر قزوين فقد تصدها الى الصين وفرض على حكومتها الشرقية جملا لقاء حراسة الحدود ، كما ان ولده كوبيلاي نقل عاصمة بلاده من قره كروم الى بكين .

وكان جنكيز خان يرسو بعين الطمع الى بلاد الاسلام لما بلغه من خيراتها وعمرانها ثم لما علمه من تنازع ملوك الترك في اطرافها ، بالاضافة الى ضعف الخلفاء العباسيين الذين لم يترك لهم هؤلاء الاماجم الا السلطة الروحية ، فتقدم اليها حتى استولت على تركستان . ولكن الاجل عاجله قبل ان يدرك امنيته من البلاد العربية . ولما بويغ الخان منكو بن طولي سنة 1246 م عهد الى قائده هولكو فتح بغداد ، كما عهد الى قادة اخرين اكتساح اقاليم اخرى .

وقد ارسل هذا الخان وفدا الى لويس التاسع ملك فرنسا في قبرص ، وهو قائد الحملة الصليبية السابقة . بدعوه فيها للاتفاق بينهما على المسلمين ، كما ان عطف هولانو على النصارى - اذ كانت امه وزوجته مسيحيتين - اغرى البابا اسكندر الرابع بدعوته الى اعتناق دين المسيح لقاء وعد منه بمساعدته على المسلمين ، ولكن هولكو استنكر هذه الدعوة وبقي على دين بوذا وعلى الرغم من وحدة الهدف بينهما فلم يصالا الى توحيد العمل وانما اقتصرت العلاقات بينهما على التواد والتعاطف .

ولما دخل هولكو بغداد سنة 656 هـ - 1258 م قتل المغول ما يزيد على مليون رجل فيها والقوا في

دجلة كتبها وكانت ، على قول مجلة الهلال م 19 من 392 ، « شيئا لا يعبر منه » ثم لما استتب له الامر فيها سير جنوده الى فتح الشام ، وقد تمكنوا من الاستيلاء عليها حتى بلغوا غزة ، غير انهم لم يمرضوا للثغور التي كانت لا تزال في حوزة الصليبيين ، واهمها انطاكية وبيانا ومكا . اما نظامهم فيها ولاسيما في حلب فعلى قول ابن العبري تجاوزت الحد الذي ارتكبه في العراق . وكان اشدها تعرضهم للمكتبات التي كانت زينة الحضارة العربية وقوامها .

نتائج الحملات الصليبية والحروب المغولية في الناحية الثقافية

ان الملوك اذا دخلوا قرية جعلوا عاليها سافلها فيكفي القول ان بلاد الشام كانت دار حرب تتناوشها من الشرق والغرب طوال ثلاثة قرون ونصف القرن اي من مطلع القرن الحادي عشر للميلاد الى اواسط القرن الثالث عشر يكفي هذا القول لتقدير سوء احوالها المادية والمعنوية فضلا عن الثقافية . ولاسيما اذا اضفنا الى ذلك الحروب الداخلية بين الاسرة السلجوقية ، ثم بين آل زنكي وآل ايوب ، ناهيك بالفتن الطائفية بين السنة والشيعة . فكان من حصيلته كل ذلك اندراس المكتبات ، واقفال المدارس ، وضياح الاوقاف المحجسة على تلك المدارس والاعمال الخيرية ، وتحطيم الاقلام وتقليص الترايح على ان هذه الكوارث لم تنته بانتهاء القرن الثالث عشر ، وانما استمرت وبرزت على اشدها في مطلع القرن الخامس عشر بحملة تيمور لنك التركي على آل عثمان وعلى بلاد الشام فقضت على البقية الباقية من معالمها الثقافية .

وتجدر الإشارة هنا الى ان العلم كان قد النجا بعد سقوط بغداد الى مصر وسوريا . وقد رهناه الايوبيون بمصر والمماليك بعدهم فازدهر بمصر ، وانتشخ بلاد الشام التابعة لهم الا أنهم طاردوا الفلسفة ولاحتقوا ذوبها . وفي ذلك الحين تناولت حلب علم الزعامة الثقافية من دمشق حتى قام فيها على رواية محمد كرد علي في خطط الشام « ثلاث مدارس للطب ومدرسة للهندسة » ولكن هذه المدارس وغيرها قضت عليها حملة تيمور لنك فاضاعت الشهباء ازدهارها .

وعلى كل حال فلولا تلك النهضة العلمية التي برزت بمصر خلال حكم بني ايوب وخلفائهم المماليك وشخص الطلبة السوريين لتلقي العلم ولاسيما في

وأما الشعب فلم يكن أحد منهم يهتم به . وهو ، وفي مقدمته العرب ، كان قد استيقظ بالتماس مع العالم الغربي بالمدارس والتجارة والهجرة ، وأصبح تواقا للمعرفة ومجارة الركب العالمي فلم يمه الا الإقبال على المدارس التبشيرية المختلفة التي انتشرت في كل مكان علاوة على المدارس الخاصة التي انشأتها الطوائف . فكانت العاقبة ان رعايا السلطنة العثمانية ، الذين هم في الاصل لا يشكلون وحدة قومية ، امسوا كتلا متباينة الاهداف في السياسة ، ومتباعدة في النطاق الملى . وكل ذلك افضى في النهاية الى متاهب واجهتها السلطنة هجلت بزوالها .

ومن رعى لغنا في ارض مسبعة
وغاب عنها تولى رعيها الاسد

النهضة الثقافية الحديثة في الشام :

اثر اختلاط الغرب بالمسلمين في بلاد الشام والاندلس وصقلية ، وفي اعقاب هجرة علماء بيزنطة الى بلادهم بعد فتح العثمانيين عاصمتهم القسطنطينية سنة 857 هـ - 1457 م انتفض الغرب انتفاضة جبارة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، كانت منطلقا لحياة جديدة في الاجيال اللاحقة . ولم تقتصر نهضته على الناحية الثقافية ، وانما تناولت الشؤون الاقتصادية ، وتركزت على القوة العسكرية .

ولكن الغرب على الرغم من انصرافه الى بناء مطرد لم ينس ابدأ بيت المقدس . وآية ذلك ان ملك اسبانيا فيليب الثاني افتتم فرصة وجود الامير فخر الدين المني الثاني في ضيافته بصقلية وذلك في مطلع القرن السابع عشر ، ليعرض عليه التعاون معه على طرد العثمانيين من البلاد المقدسة . ولكن على الرغم من خصومة الامير لهؤلاء ابي واستنكر وفضل العودة الى بلاده على التواطؤ مع الاجانب على دولته ، وعلى مقدساته .

ثم لما جاء عهد الاستعمار وانتقلت المبادرة الى الدول الاوربية ظلت فلسطين ماثلة امام امين هذه الدول ، ولاسيما حين تدامت السلطنة العثمانية ، واصبحت كل واحدة منها تسمى لان تؤمن نصيبها من ارث الرجل المريض .

وقد وضعت اعتمادها على الارشاليات التبشيرية التي كانت بمثابة طلائع جيش الفتوح لان هذه الارشاليات لم يكن يعمد اليها التبشير بواسطة المدارس فقط ، وانما كانت تعمل كدائرة

ازهر ميودها لاندرست الثقافة في بلاد الشام ، ولما بقي فيها عالم او اديب بالمعنى الصحيح . وعلى الرغم من ان كثرة العلماء امسوا فيها من الحشويين الذين يختارون في التأويل الغريب المدسوس على الصريح المعقول ، ومن ان اكثر الادباء امسوا يمتنون بالالفاظ الرنانة والصبغات المنمقة دون المعاني ، ودون توجيه الشعب للبناء والانطلاق فان البلاد لم يدركها القحط الكلي . بل ظهر فيها من العلماء والادباء نفر اتيح لهم ان يحتموا بالشهرة كابن عساكر المتوفي سنة 616 هـ ، وابن الفارض 645 ، وابن الاثير 637 ، وابن تيمية الولود سنة 661 .

عهد السلطنة العثمانية :

كان من المفروض في بني عثمان الذين اتيح لهم ان يقيموا امبراطورية عظيمة على انقاض الممالك العربية وعلى انقاض الامبراطورية البيزنطية التي كانت في ذلك العصر منارة العلم في الغرب ، كان من المفروض ان يستغلوا مخلفات هاتين الامتيسن وان يعطوا العالم حضارة جديدة او ان يسيروا على الاقل في مواكب التمدن الحديث . ولكنهم باستثناء سلاطينهم الاولين الذين قلدوا الخلفاء العباسيين برعاية العلم والادب ، وتحلوا بهما انصرفوا عن كل ذلك الى حروب كانت غايتها في البداية التوسع في اوربا ، وكان هدفها في النهاية الحفاظ على مكاسبهم الحربية ، ثم الدفاع عنها تجاه الاتحاد الاوربي المقدس الذي ابرم ضدهم . وبهذا وذلك ظلوا يبيدين عن العلم والادب ، فما حافظوا على ما ورثوه من العرب ، وما اقتبسوا التمدن الحديث من الغرب الا بعد ان اشرفت دولتهم على الانهيار . على انهم ما ان فكروا في وجوب الخروج من نطاق الجهود وباشروا الاصلاح حتى كان هدفهم ينحصر في الشؤون العسكرية فانشا السلطان مصطفى الثالث (1757 م - 1774) مدرسة الفنون الحربية . ولكن السلطان محمود الثاني (1808 م - 1839 م) ما ان اتيح له القضاء على الاكتشافية ، هذه الطغمة التي كانت تقف في وجه التجدد ، حتى عمد الى الانطلاق في سبيل الاقتباس من اوربا . وفضلا عن بنائه المعهد الطبي باسطنبول فقد اوفد بعثة من الطلبة للتخصص في معاهد اوربا . كما ان خلفاءه شرعوا يمتنون بالولايات . ولكن عنايتهم هذه كانت لا تتجاوز انشاء مدارس اعدادية وعسكرية كانت الغاية منها اعداد الموظفين للحكومة ، واعداد الضباط للجيش .

والخيرية منها ، ولكن الوضع العثماني لم يكن يشجعهم ولذلك اضطروا في البداية الى اللجوء للتعاون مع الاجانب ، الذين كانت تحميمهم الامتيازات من اجل تأليف الجمعيات المنشودة . وقد الف بعض علماء بيروت وادبائها سنة 1858 بالتعاون مع بعض المرسلين الاميركان « الجمعية العلمية السورية » التي كانت غايتها الاهتمام بنشر المعرفة وخدمة الادب فعاثت نحو سبع سنين . ثم لم تلبث ان هادت للحياة في عام 1867 ، واصدت مجلة باسم مجلة مجموع العلوم . ولكنها لم تمش طويلا .

وفي اعقاب ذلك تبدل الوضع في سوريا حينما نصب مدحت باشا الملقب بابي الدستور واليا عليها سنة 1829 م . فهو اذ كان يطمح بالاستقلال في بلاد الشام على فرار خيدوية مصر بتشجيع من فرنسا شرع يتحجب الى اهله فاطلق لهم شيئا كثيرا من الحرية . وكان الجو الذي بدا في ايام ولايته وما بعدها مشجعا لبعض اهل العلم والادب من البيروتيين لان يؤلفوا المجمع العلمي الشرقي سنة 1881 بالاستقلال عن الاجانب . ولعلمهم اختاروا هذا الاسم لجمعيتهم من قبيل التمثل بالاوروبيين ومحاكمتهم العلمية . ولكن هذا المجمع لم يكمل العامين من العمر . فانبرى بعيد ذلك المطران يوسف الدبس لانشاء الدائرة العلمية المارونية برئاسة . ولم تكن اطول عمرا من سابقتها . ذلك بان السلطان عبد الحميد الثاني (1876 - 1909) لم يكن يرتاح للتكتلات الشعبية - الامر الذي ادى الى انحلال الجمعيات الخيرية ايضا ، وفي مقدمتها جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية . ولولا ان جمعية شمس البر الادبية كانت تستند الى رعاية الاميركان وحميتهم لما عاشت حتى الحرب العالمية الاولى (1914 - 1918) . ولا بدع فلقد كان عهد هذا السلطان شديدا الحذر من مؤامرات الدول الاجنبية التي كانت تحاك حوله . والى ذلك فلم يكن يطمئن لشعبه الذي تخرج في المدارس الاجنبية .

وهذا الخوف من الداخل والخارج حملته على التشديد في المراقبة والمقابلة على الشبهات احيانا . من ذلك ان شاعرا بيروتيا ، واظنه مصباح البربري نظم قصيدة غزلية كان مطلعها :

ان حبي كل يوم في ازدياد

والهوى ياتي على غير المراد

فقامت قيامة الولاية في بيروت ، وانتصب

استخبارات لتسهيل الفتح ، والاعداد له بشتى الوسائل ومهما يكن من امر فان هذه الارساليات التي ترجع اولها الى عهد الامير فخر الدين المني المشار اليه فانها ولا شك عملت لبعث نهضة ثقافية في سوريا ، ولاسيما بلبان رافقتها نهضة تجارية واجتماعية .

ثم كان لاحتلال نابوليون بوناپرت لمصر سنة 1213 هـ - 1798 م اثر كبير في نهضة الشرق العربي ذلك لان هذا الفاتح الكبير استصحب معه لوادي النيل بعثة علمية فنية كانت حافلة باشهر علماء فرنسا ، فوضعت التصاميم الاصلاحية وقامت ببعض المشاريع العمرانية التي كانت فيما بعد منطلقا لنهضة هذا المشرق الحديثة في عهد الاسرة العلوية ، وخديويها ولاسيما في لبنان الذي ساهم اينآؤه في النهضة المصرية .

النهضة الثقافية في لبنان :

منذ عني الاوروبيون بطباعة الكتب العربية وترجمتها في مطلع القرن الخامس عشر بادروا للاستعانة ببعض المثقفين من اللبنانيين ، ولاسيما رجال الاكليروس . فانتقل هؤلاء الى روما والسوا اكثر العواصم الغربية والجنوبية ، وساهموا فيها بأعمال الترجمة والطبع والتدريس وقد تولى نفر منهم الوظائف . وسرعان ما كان ذلك حافزا لهم وللمتخلفين منهم للاتفات الى وطنهم ، فانشأوا في عام 1042 هـ - 1632 م المدرسة الاولى في قرية حوقه ، والثانية في حلب عام 1073 هـ - 1662 م وكانت اولى المطابع تلك التي استجلبها البطريرك اثناسيوس دباس الى حلب في مطلع القرن الثامن عشر . والثانية مطبعة الراهب الحلبي عبد الله زاخر في دير مار يوحنا الطبشة في الخنشارة بلبان ، وفي غضون تسابق الدول الاجنبية الى فتح المدارس التبشيرية في المدن والقرى في كل من ولاية بيروت ومتصرفية لبنان وغيرهما ادرك البيروتيون ، وعلى رأسهم رجال الدين مغبة ترك تربية اولادهم لسواهم فخفت كل طائفة منهم لانشاء المدارس الوطنية .

وكان من نتيجة انتشار العلم في الساحل السوري على وجه عام ذلك الاقبال الشديد الذي برز من قبل مثقفي الشعب على المزيد من فتح المدارس واصدار الصحف ، وانشاء المطابع ، وقراءة الكتب وتاليفها . وقد رافق هذا الاقبال ميل من الشعب لتأليف الجمعيات ولاسيما الادبية

الجزان . لماذا ؟ - لان للسلطان اخا اسمه مراد كان قد اتهم بالخبل فخلع وبويع السلطان عبد الحميد مكانه . ومن هنا اتهم الشاعر بانه يعرض بالعاقل المخلوع وسيق للمحاكمة .

وفي عهد كهذا ليس من المنتظر ان تتألف الجمعيات ، واذا تألفت لم يكن من المقدر لها ان تعيش .

الجمع العلمي اللبناني :

حفل لبنان في صدر القرن العشرين بحملة الشهادات العليا من خريجي المعاهد والمدارس الوفيرة فيه ، ومن خريجي جامعات الغرب . ولما اصبح له كيان سياسي في عهد الانتداب الفرنسي بالقائون الاساسي والحكم الدستوري اتجهت انظار الطبقة المثقفة فيه الى ان تكون له هيئة تمثل وجه وطنها الثقافي ، وذلك بانشاء مجمع علمي اسوة بسوريا منذ عام 1919 . وكان الشيخ ابراهيم المنذر الاديب الكبير عضوا في المجلس النيابي اللبناني فثار هذا الموضوع . ثم كانت له وقفات حوله قوية خلال عام 1927 سرعان ما التمرت فقرر المجلس انشاء المجمع المنشود على الرغم من ان الانتداب الذي كان يشجع اللغة العامية بلبنان ضمن نطاق تبعيته عن شقيقاته لم يكن راضيا عن هذا العمل . واستنادا الى قرار المجلس المذكور اصدر رئيس الجمهورية الاستاذ شارل دباس قانونا بانشاء مجمع علمي لبناني وذلك في 20 شباط 1928 غاية المحافظة على اللغة العربية ورفع شأنها ، والعناية بالمباحث والاممال المتعلقة باصولها وآدابها والمحافظة على الآثار ، ودراسة تاريخ لبنان وجغرافيته ، وغير ذلك مما يتعلق بادرارة الشؤون العلمية وتنظيمها . واصدر مرسوما آخر بتعيين السادة الالية اسمائهم اعضاء لهذا المجمع : الشيخ ابراهيم المنذر ، والشيخ عبد الله البستاني ، والشيخ امين تقى الدين (1) ، والشيخ منير عسيران ، والشيخ محمد الحسيني ، والاستاذ بولس خولي ، والبطريرك اغناطيوس الفرام الرحماني ، والشيخ عبد الرحمن سلام ، والخولي بولس عبود ، والاستاذ وديع عقل ، والاستاذ الياس فياض ، والشيخ احمد عمر الحمصاني ، والاستاذ عيسى اسكندر العلوف ، والاب لويس العلوف ، والشيخ حسين مغنية .

وفي التاسع من شهر اذار 1928 افتتح المجلس اعماله بحضور الشيخ بشارة خليل الخوري رئيس الوزراء الذي كان وزيرا للتربية الوطنية ، وانتخب مكتبه التنفيذي على الوجه التالي : الشيخ عبد الله البستاني رئيسا ، والشيخ احمد عمر الحمصاني ، والاستاذ وديع عقل ، معاونين للرئيس . وقد اتخذ المجمع في اول الامر وزارة المعارف والتربية مقرا له ، ثم انتقل الى دار الكتب الوطنية ، ووالى اجتماعاته فيها الى ان استقل في دار له خاصة .

وقد حالت بعض الاسباب دون اشتراك السادة عبد الله البستاني والاب لويس مطوف ، والاستاذ عيسى المطوف ، والشيخ محمد الحسيني والشيخ حسن مغنية في جلسات المجمع الاولى فقرر اعتبارهم اعضاء مراسلين وانتخب بدلا عنهم السادة : الشيخ علي زين ، والخوري جرجي ستيبي « الذي اصبح من بعد مطران السرايان بدمشق » ، وجرجي صفا ، واسد رستم ، ومحمد جميل بيهم . ونتيجة لهذا التبدل اجتمع المجمع في 25 تشرين الاول 1928 وانتخب الاستاذ وديع عقل رئيسا له ، والياس بك فياض والشيخ ابراهيم المنذر معاونين وذلك لمدة عام . وقد وضع المجمع خلاله نظامه الداخلي .

ولما ازف موعد الانتخاب في السنة التالية ، وشعرت السلطة ان نية اكثر اعضاء المجمع منصرفه لانتخابي للرياسة تحركت فوراً لاني كنت من اشد المعارضين بلبنان للانتداب ، والمنادين بالوحدة العربية . وقد مهدت الى الشيخ بشير الخوري المنسوب من وزارة المعارف للاشراف على الانتخابات السمي لتوجيه الاعضاء الى تجديد الرياسة للاستاذ وديع عقل ، وذلك في جلسة الانتخاب المحددة في 18 تشرين الاول 1929 ولما باوت مساميه بالفشل تحول بكليته الي ، وشرع يقنعني بالتخلي عن الرياسة للاستاذ عقل لسنة اخرى على ان اعلن ذلك لزملائي . فكان جوابي له : اني لم اكلف احدا منهم ان ينتخبني ، كما اني لا اعلم من هو المرشح عند كل منهم فكيف يسوغ لي من بعد ان اطلب منهم ان لا ينتخبوني لمنصب الرياسة واعرض نفسي لقول قائل : من اخبرك اني مزعم ان اصوت لك ؟ . ولما استولى عليه الياس اجل الانتخاب ريثما يقابل نسيبه الرئيس

(1) وهم من المشايخ المدنيين الذين تحمل اسرهم هذا اللقب .

المحصاني ، والشيخ عبد الرحمن سلام ، وجرجس بك صفا .

وقد قامت هذه اللجان بما عهد اليها على خير وجه في جو من التعاون والوثام ورفعت الى المجمع تقاريرها لتكون اساسا للبحث والاقرار ، ومن ثم للتنفيذ .

تقرير اللجنة الادارية :

تناول التقرير الاوضاع العلمية والادبية في البلاد العربية ولاسيما لبنان، كما تناول انشاء المجمع العلمي اللبناني واعماله منذ نشأته حتى ذلك التاريخ، و اشار الى ما عقد العزم على تحقيقه في تلك السنة وما بعدها . ولاسيما في حقل توثيق العلاقات بينه وبين الجامعات العربية الاخرى . كما انه اشار الى بعض الدعوات الخارجية التي وردت له، وعلى رأسها دعوة المجمع الادبي العام في باريس .

تقرير اللجنة اللغوية :

بعد ان اكد التقرير ضرورة التعاون مع سائر الجامعات العلمية العربية ، وبمقد ان اشار الى آراء طائفة من اكابر كتاب العرب بشأن اصلاح اللغة توصلت اللجنة الى الاستنتاج بان هؤلاء على خلاف في وجهة السير . فبينما يقبل بعضهم ما يقدره الافراد المعنيون باللغة فان البعض الاخر كان يرى ان للمجامع وحدها الحق في وضع الكلمات الجديدة . وقال التقرير في التعليق على ذلك بناء على ما تقدم راي المجمع العلمي اللبناني قبل ان يجرم في هذا الشأن ان ينتدب رئيسه الحالي الاستاذ جميل بهيم فيقصد مصر . ومصر اليوم قلب العالم العربي النابض : ويسمى لاجداد صلة بين الهيئات اللغوية والجامع العلمية في الاقطار العربية تمهيدا لمقعد مؤتمر عام يجتمع في كل سنة لاجل التعاون والتفاهم على الطرق السوية لترقية اللغة العربية . ولقد سافر الاستاذ الرئيس الى مصر فقابل وزير المعارف ، وصاحب الدولة مصطفى النحاس باشا وبسط لهما مهمته فلقى منهما الارتياح التام . ثم اخذ يث الدعوة بين جمهور المفكرين العاملين . وساعده على ذلك بعض اهل الفضل والوجاهة بما فقدوه من حفلات لهذه الغاية . وقبل مغادرته مصر تالفت لجنة في القاهرة من كبار مفكرها وعلمائها جعلت همها السعي لتحقيق هذه الغاية . ولم يطل المعهد حتى نقلت اليها الصحف البشرية بانشاء المجمع المصري للثقافة العلمية وترقية اللغة العربية »

الشيخ بشارة الخوري . ولم يلبث الا قليلا حتى عاد حاملا الي بشرى الوعد بتعييني وزيراً للمعارف والتربية الوطنية اذا تخلصت من رياسة المجمع . فقلت له مبسما انت تعلم يا شيخي اني لست من طلاب الوظائف ، كما تعلم ايضا ، مما نشرته الصحف في حينه ، اني كلفت باشغال مناصب عالية من قبل فرفضت التعاون مع العهد ، فكيف تريدني التحول الآن من مبدئي ؟ لئما وسع البشير الا السكوت علي مفض . ولما جرى الانتخاب يومئذ اسفر عن احرازي معظم الاصوات للرياسة ، ومن انتخاب الشيخ ابراهيم المنذر والاستاذ سعيد عقل معاونين لها . وهنا مجال للتنبؤ بالاستاذ عقل هذا الرجل الوطني الموهوب ذلك لانه تعاون معي في نطاق خدمة المجمع وكان شيئا لم يقع من قبل، وكرس جريدته الراصد للتكلم بلسانه .

وكان اول عمل باشره المجمع بعد ذلك تطبيق نظامه الداخلي الموضوع في العام الفائت يتوزع تقسيم امضائه على اربع لجان عهد الي كل منها ان تعمل بجهد ونشاط ضمن نطاق المهمة الموكولة اليها وهي :

اللجنة الاولى « الادارية » ومهمتها القيام بالامال الادارية ، وتحضير الموازنة المالية كل عام . وكانت تتالف من السادة : محمد جميل بهيم ووديع عقل و ابراهيم المنذر .

اللجنة الثانية « اللغوية » ومهمتها التدقيق في وضع الكلمات والمصطلحات للمعاني العلمية الجديدة والمسميات الحديثة . والتعاون مع الجامعات العلمية العربية الاخرى توصلا لوضع معجم يوفى حاجة العصر . وكانت تتالف من الشيخ منير ميران ، والشيخ ابراهيم المنذر والياس بك فياض والشيخ امين تقي الدين .

اللجنة الثالثة « لجنة التاريخ والجغرافيا » وعهد اليها بالاضافة الى التحقيقات التاريخية وضع معجم جغرافي للبنان على اسلوب علمي حديث . وكانت تتالف من الاساندة اسد رستم ، وبولس الخولي . والخولي جرجس ستيني . والسيد علي الزين ومحمد جميل بهيم .

اللجنة الرابعة « لجنة المخطوطات » وعهد اليها بوضع احصاء عام للمخطوطات العربية في الجمهورية اللبنانية ، وترتيب تدوينها على طريقة علمية تسهيلا لمراجعتها . وكان قوامها الشيخ احمد عمر

والفرنسية في بيروت . فطلبنا الى حفصة الاب هنري لامنس اليسوعي ان يتولى كتابة المقدمة التي تتعلق بجغرافية لبنان التاريخية ، والى الاب جبرائيل لوفتك ان يكتب مقاله في جغرافية الجبل الاقتصادية كما انا رفينا الى بعض اساتذة الجامعة الاميركية في بيروت ، وهم الفريد داي ، ويوليوي برون ، والدكتور ويليم فانديك الكتابة في جيولوجية لبنان ومناخه وحيواناته ونباته ومياهه . واما القسم الاكبر من العمل في هذا المعجم ، وهو جمع حقائق عامة في الجغرافيا والتاريخ عن البلدان والقرى والمزارع اللبنانية ، وترتيب هذه المباحث وتنسيقها وضبطها فقد شرعت به هذه اللجنة وطبعت جداول تمهيدية لوضع القاموس العام . وفي كل منها حقول متنوعة تتناول المدن والقرى ومدد النفوس فيها ، والمداهب ، والانهار والينابيع والجبال والمناجم والمعابد والمقامات والعامل والماهد العلمية ، ومواطن الآثار، واهم الحاصلات الزراعية والمنتجات الوطنية الى غير ذلك من الشؤون عدا اماكن الاصطياف ، ورفعنا هذه الجداول الى وزارة الداخلية الجليلية لتامر بتوزيعها على المحافظين والمديرين والمختارين في الجمهورية اللبنانية . وقد اعدت الجداول المذكورة بمعاية ، وعهد بها الى هذه اللجنة لتصحيح ما يحتاج التصحيح . ولتنسيقها .

تقرير لجنة المخطوطات العربية القديمة :

اشار التقرير الى الصعوبات التي تعترض من ينقب عن هذه المخطوطات ، ولاسيما لان اكثرها كان موزعا على مكتبات جامعة لم تعمل بعد ايدي الباحثين للتحري عنها . واكثرها غير معروف ثم بينست اللجنة انها بدأت باحصاء ما في مدينة بيروت ، وانها ستشرع من بعد في البحث عما يوجد في غيرها من المخطوطات حتى اذا اكتمل العمل تنظم منه مجمعا محيطا ليسهل الرجوع اليه على ان يشمل هذا المعجم اشارة الى موضوع كل كتاب . والى الزمير الذي وضع فيه ، واذا كانت له مزية اخرى . وختمت اللجنة التقرير بذكر ما احصته في مكاتب بيروت الكبرى من المخطوطات فكان كما يلي :

مكتبة الجامعة الاميركية :

183 مجلدا و 134 رسالة

مكتبة الآباء اليسوعيين :

245 مجلدا و 44 رسالة

وبعد ان اشار التقرير الى البيان الوافي الذي وضعه سنة 1928 الشيخان عبد الرحمان سلام ، واحمد عمر الحمصاني في كيفية المحافظة على اللغة العربية ، واوجزه بما ورد في الختام : «لذلك نرى ان باب الاستحقاق في اللغة العربية يجب ان يفتح على مصراحيه توصلا الى استخدام الافعال والصفات المتعلقة بها حسب مقتضيات العصر ، فيتسع بذلك مجال الانشاء ، ولا يعاني طلاب العلم والكتاب ما يعانيون من المشاق والمصائب » ومضى يقول : « وسننظر فوق ما تقدم في اصول اللغة ، اي قواعدها الاساسية المتخذة حجة لصحة الكتابة والانشاء . وهي في كل فرع من فروع الصرف والنحو والعروض والبيان وغيرها لا تزال على حالها منذ وضعها الائمة لم يطرح منها باب ، ولا عدلت قاعدة لذلك شق تحصيلها على طلابها لانهم رزحوا تحت امائها ، وضاعوا بين المؤلفات الضخمة ، والآراء المتباينة ، والقواعد المعقدة التي يجب ان تطرح من كتب اللغة سهلا لتناولها . ولا يخفى ما في تحقيق هذه الامنية من الصعوبة تجاه الثمنتين . ونحن نتوخى في كل حال المحافظة على عظمتها وتمايزها الشاملة مستعينين باقطابها المدققين العاملين الضاربين في مشارق الارض ومغاربها » .

تقرير لجنة التاريخ والجغرافيا :

اشار التقرير الى اهتمام اللجنة بتاريخ لبنان وجغرافيته ليقف المواطن على احوال بلاده وثقافتها صحيحا ويلم بكل ما فيها من العالم والآثار بالاضافة الى تزامم كبار اللبنانيين الذين تركوا غير ذكر في العلم والادب او الوجاهة مع العمل البناء لم يفسى يقول :

« لما كان العالم العربي في الشرق والغرب في حاجة الى المراجع الكاملة عن بلاده ترى اللجنة ان يعني المجمع في بدء اعماله ، مناية خاصة ، بوضع معجم جغرافي لجميع البلدان والقرى والمزارع والانهار والجبال في الجمهورية اللبنانية ، وان يكون لهذا المعجم الجغرافي مقدمات عامة في جغرافية لبنان السياسية والاقتصادية والتاريخية مصحوبة ببعض مباحث في جيولوجية لبنان ومناخه ونباته وحيوانه وذلك بالاستعانة بفريق من اساتذة الجامعتين الاميركية

عربية على ان يجعل من هذا النادي دارا للمحاضرات
ومحجا لطلاب المعرفة .

الفاء المجمع العلمي اللبناني :

كان بين الاستاذين الحاميين اميل اده والشيخ
بشارة الخوري تنافس على الرياسات في عهد
الانتداب وبعده . فلما خلف الاستاذ اده الشيخ
بشارة على رئاسة الوزارة ، وهو رائد من رواد هدلة
لبنان واهتمامه على فرنسا لم ترق له اتصالات
المجمع العلمي اللبناني بالمجامع العلمية واللغوية
العربية . لذلك فوجيء المجمع في عهده بمرسوم
صادر من رئاسة الجمهورية مؤرخ في 3 شباط 1930
يقضي بالغائه تحت ستار التوفير على الخزينة .
فكان لهذا المرسوم اثر سيء ، ولا سيما على اعضاءه
الذين كانوا يوفون الخدمة حقها ، ولا يريدون جزاء
ولا شكورا ، فقدموا استدهاء الى وزارة الداخلية
بطلب الترخيص لهم لمتابعة العمل باسم المجمع المذكور
دون الاعتماد المالي . ولكن المجمع اضطر فيما بعد الى
التوقف لان مؤسسة كهذه عليها ما عليها من النفقات
لا يطول عمرها اذا لم تمدها الحكومات بالمساعدة .
ثم ما برح اعضاء المجمع ، الذين كانوا يشعرون
بالفراغ . يطالبون باعادته . وقد استجاب لهم المجلس
النيابي عام 1944 . وفرر تخصيص مبلغ من المال
لامادة المجمع . ولكن الحكومات المتتابعة ضربت
صفحا منه فقضى نجه هكذا قبل القطاف .

وفي هذه المناسبة يطيب لي ان اذكر ان مكتبة
المخطوطات في داري تحتوي على 41 مخطوطة بعضها
ليس له نسخة ثانية في المكتبات الاخرى .

الى الامام في خدمة العرب والعربية

وقد استمع المجمع الى تقارير لجانه وناقشها ،
وحدث اعضاءها على المزيد من النشاط حبا بالقيام
بالتبعية الملقاة عليهم على حير وجه . وقرر في الجلسة
التي عقدها يوم 29 اذار 1929 تكليفني بأن اتصل
بالمجمع العلمي العربي بدمشق من اجل التماسون على
تحقيق فكرة المؤتمر اللغوي العام الذي كنت دعوت له
في مصر فانجزت ما تقرر .

هذا وكانت جريدة البرق نشرت مقالا لصاحبها
الاستاذ بشارة الخوري اقترح به على المجمع اكمال
دائرة المعارف التي اصدر بعض اجزائها الاستاذ
بطرس البستاني قبل حين فرحب المجمع بهذا
الاقتراح وفوض الى اثنين من اعضاءه : الشيخ عبد
الرحمن سلام والاستاذ جرجس صفا ، لدرس هذا
الموضوع ول يقدم كل منهما تقريرا في الوسائل التي
يمكن بها تحقيق هذا الاقتراح . وفضلا من ذلك
فقد قرر انشاء ناد يشتمل على مكتبة عامة ، ومجلة

